سلسلة علم النفس

علم نفس الشخصية

إعداد

كامل محمد محمد عويضة

مراجعة

أ. د محمد رجب البيومي

عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة **لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان** ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيـــاً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان

العنوان : رمل الظريف شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٢٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

ليس موضوع علم النفس جديداً عليك ، بل هو أقرب الموضوعات وأشدها اتصالاً بحياتك ، فموضوعه هو سلوكك وتصرفاتك ، وأعمالك من حيث هي مظهر للحياة النفسية . سيعرفك علم النفس كثيراً عن نفسك وعما تجهله من حالاتها واستعدادتها ، وسيكشف لك عن طبيعة شعورك وإحساسك ، وغرائزك وعاداتك وعواطفك وانفعالاتك ، وتفكيرك وإدراكك ، وليس هذا وحسب ، بل إرادتك وذاكرتك ، وتخيلك وتصورك ، وخواطرك وكيف تتداعى . وأنت في هذا كله تجول جولة سريعة في طبيعة النفس وظواهرها ، فتعرف بذلك نفسك ونفس غيرك وبذلك تعيش متلائماً مع غيرك من الناس ، وتحيا حياة بعيدة عن القلق والاضطراب وتنعم بالهدوء والاطمئنان ذلك لأنك قد فهمت نفسك ونفس غيرك فلاءمت بين هذه وتلك .

وكتبه ،

كامل محمد محمد عويضة
مصر - المنصورة - عزبة الشال
ش جامع نصر الإسلام

تمهيد

تعريف علم النفس :

كان علم النفس في العصور القديمة معنياً بدراسة النفس أو الروح ومعرفة أصلها ومصيرها . ولما كانت هذه الدراسات غامضة مبهمة وليست علمية ، فقد حاول العلماء المحدثين أن يدرسوا العقل ، ولكنهم لم يتفقوا على معنى العقل ، لذلك ذهب بعض العلماء إلى تسميته بعلم الشعور ، لأن الشعور أهم ظاهرة عقلية . وبهذا نجا العلم من الغموض والإبهام . ولكن لاحظ فريق آخر منهم أن هناك قوة تهيمن على أعمالنا وتصرفاتنا ، وتلك هي اللاوعي أو اللاشعور . واللاشعور هو مجموعة الخواطر والرغبات والميول التي لم يستطع المرء اشباعها في حياته ، لأنها غير ملائمة لآداب المجتمع ولا متفقة مع تقاليده فحاول الإنسان كبتها ، أو غاصت هي في مجال اللاشعور وأصبح الإنسان لا يشعر بها ولكنها مع ذلك تتحكم في توجيه سلوكه .

ولكن ميدان العلم مع ذلك لا يزال ضيقاً لأن دراسة الشعور واللاشعور لا يمكن تطبيقها على الحيوان أو الطفل أو المجنون ، ومن ثم فلا بد أن يتسع نطاق البحث . لذلك حاول العلماء دراسة مظاهر السلوك المختلفة عند الإنسان والحيوان ، ولا يكون ذلك بطريق الملاحظة الداخلية (التأمل الباطني) فحسب ، وإنما يكون بإجراء التجارب . ومن ثم أصبح علم النفس هو العلم الذي يبحث في سلوك

الناس وتصرفاتهم وأعمالهم من حيث هي مظهر للظواهر النفسية .

فائدة دراسة علم النفس :

١ ـ يستخدم علم النفس في الحرب لقياس ذكاء الجنود ، لمعرفة مستواهم العقلي وأحوالهم النفسية . وقد ثبت لعلماء النفس أن الجنود البلهاء الذين انحط مستوى ذكائهم لم يكونوا جنداً يعتمد عليهم ، أما الأذكياء فهم دعامة النصر في الحرب ولا سيما إذا جمعوا إلى الذكاء شجاعة نادرة وجسماً قوياً سليماً .

٢ ـ تراعي معاهد التعليم المختلفة أن يكون تلاميذ الفصل الواحد في مستوى ذكاء واحد ، لأن وجود التلاميذ الممتازين بالذكاء مع آخرين أقل منهم ذكاءاً يجعل المدرس مضطراً إما إلى النزول إلى مستوى التلاميذ الأقل ذكاء وفي ذلك ضياع فائدة على الأذكياء ، وإما إلى التحدث بمستوى عال يلائم الأذكياء فتضيع الفائدة على من هم أقل ذكاء .

٣ ـ بعد أن عرف علماء النفس الكثير عن العقد النفسية وأثرها في الحياة العقلية والجسمية أنشأ فريق منهم عيادات يعالج فيها المصابون بالأمراض النفسية والأمراض الجسمية الناشئة عن اضطراب نفسي .

٤ ـ كشف علم النفس عن طرق التجميل ، والأثر الذي يحدثه الجمال في النفس وقد سميت هذه الدراسة بسيكولوجيا الجمال(١) .

٥ ـ ساعد علم النفس على معرفة نفسية المجرم ، والدوافع التي تدفعه إلى الإجرام وبين علم النفس طرق معالجة المجرم وتوجيهه وجهة

---

(١) لفظ مكـون من كلمتين يـونـانيتين « Psyche » ومعنـاهـا « نفس أو روح » . و« Logos » ومعناها « علم أو درس » .

سليمة يرضى عنها المجتمع وتطمئن اليها نفس المجرم ، وقد سميت هذه الدراسة سيكولوچيا الإجرام .

٦ ـ اهتم فريق من علماء النفس بتطبيق نظريات علم النفس على الحياة العملية ، فأوضحوا لنا كيف يعرض التاجر تجارته على الناس ، وكيف يتعامل الإنسان مع زملائه ويكسب حبهم وصداقتهم ، وكيف يوفق المرء في حياته الزوجية ، وكيف يربي أطفاله تربية صحيحة ، وكيف يلائم الفرد بين شهواته ورغباته وتقاليد مجتمعه إلى آخر هذه الموضوعات التي شملت مرافق الحياة كلها .

الفصل الأول

مذهب الكمال المثالي
والواجبات الإنسانية

تمهيد ـ نشأة نظرية الكمال ـ نظرية الكمال في صورتها الحاضرة ـ الكمال النفسي وتحقيق الذات .

هو أحد المذاهب الغائية وتقوم المذاهب الغائية على أساس أن الأحكام الأخلاقية التي نصدرها على الأفعال الإنسانية الاختيارية تترتب على أثرها والغاية التي تفضي إليها . وهي بهذا تفارق المذاهب الشكلية التي تقف عند شكل الأفعال ولا تنظر إلى سواه وتذهب إلى أن الصفات الأخلاقية ترتبط بشكل الأفعال لا بأثرها وما قد يترتب عليها من لذة وسعادة أو كمال جسمي أو عقلي أو روحي .

والأفعال الإنسانية على اختلاف أنواعها يمكن أن ينظر إليها من ناحية الشكل ومن ناحية الأثر والغاية فإذا نظرنا إليها من الناحية الأخيرة كان من أظهر آثارها ما تحدثه من لذة أو كمال جسمي وعقلي . . وهذا واضح في أفعالنا العادية فالطعام والشراب مثلاً أعمال تصحبها اللذة وتؤدي إلى الصحة والقوة والدراسة العلمية وتذوق الفنون تعقب نوعاً آخر من اللذة وتكسب العقل والذوق نماء . وطبيعي عند النظر في أساس الواجبات أن يخطر لطائفة من الباحثين أن مصدر وجوب الأفعال الواجبة هو أثرها الحسن كاللذة التي تحدثها أو نمو العقل والجسم المترتب عليها . وهذا

هو اتجاه الغـائيين العام ولكنهم بعد ذلك يختلفون في تحديد الأثر الحسن الذي يعدونه أساساً للواجب فتذهب طائفة إلى أن الأمر الوحيد الذي يعد حسناً لذاته هو اللذة وأن الأفعال تعد خطأ أو صواباً تبعاً لما تحدثه من اللذة وترى أخرى أن كمال الحياة الطبيعية هو المقياس الأخلاقي الصحيح وتذهب ثالثة إلى أن الخير الأعلى هو الكمال النفسي أو المثالي وأنه مصدر الصفات الأخلاقية التي تتصف بها الأفعال الإنسانية وهؤلاء هم أصحاب نظرية الكمال المثالي واجمال القول ان الغائيين يرون أن الخير الأعلى هو أساس الواجب وان هذا الخير يجب أن يطلب بين آثار الأفعال ونتائجها . وينفرد أصحاب نظرية الكمال المثالي برأيهم في تحديد الخير المذكور ، فيذهبون إلى أنه الكمال النفسي أو المثالي لا اللذة أو كمال الحياة الطبيعية ويزنون الأفعال بأثرها في نمو العقل والجسم .

نشأة نظرية الكمال :

الصورة الأصلية البسيطة لهذه الفكرة هي صورتها عند الأغريق فقد كان المثل الأعلى عندهم للحياة الإنسانية هو المبدأ المعروف (العقل السليم في الجسم السَّليم) أو نمو القوى الجسمية والعقلية نمواً متناسقاً .

وقد جرت العادة أن تفرد القوى العقلية بعناية خاصة على أساس أنها أسمى القوى الإنسانية وقد قام أرسطو بوضع الأسس النظرية لهذه الفكرة وسلك في ذلك مسلكاً فلسفياً دقيقاً يكون جزءاً من تاريخها ويعد خير تمهيد لدراستها في صورتها الحاضرة .

يذهب أرسطو إلى أن كل شيء له وظيفة خاصة يؤديها ويجب أن نبحث عن خيره في هذه الوظيفة نفسها . فلاعب الكمان له وظيفة خاصة

وخيره الخاص هو أن يؤدي هذه الوظيفة خير أداء ويجيد العزف كل الاجادة .

وإذا أردنا أن نعرف خير الإنسان وجب أولاً أن نحدد وظيفته أو عمله الخاص ليتسنى لنا أن نعرف خيره . وهنا نسأل أرسطو ما هي وظيفة الإنسان بين أنواع الكائنات المختلفة في طبائعها ووظائفها ثم يسترسل في البحث حتى ينتهي به التنقيب إليها وإذ ذاك يتجه إلى تحديد خيره الخاص والإنسان ـ عند التحليل ـ يجمع صفات متعددة فهو كائن عضوي ذو حس وقدرة على التفكير . فيبدأ أرسطو بالإنسان ككائن عضوي حي ويتساءل هل الحياة وظيفته الخاصة . فإذا بالحياة مشتركة بينه وبين النبات فهي إذن ليست خاصة بالإنسان ثم يتجه إلى حياة الحس فإذا بها أيضاً مشتركة بين الحيوان والإنسان . يبقى بعد ذلك حياة الفكر . وفي التفكير يجد أرسطو وظيفة الإنسان الخاصة . وهنا ينجلي الأمر ويمكن تحديد خير الإنسان . فهو أعلى أعمال هذا المبدأ وأتمها . هو أكمل نشاط للوظائف العقلية ، والتفوق الناشىء من ذلك هو عنده الفضيلة الإنسانية .

أرسطو إذن يرى أن الوظيفة الوحيدة التي ينفرد بها الإنسان عن عالم النبات والحيوان هي التفكير فهو خاصية الإنسان وصميم شخصيته وأن خير الإنسان هو نمو هذه الوظيفة وكمالها وهنا يصل أرسطو إلى أن خير الإنسان هو تحقيق الذات الإنسانية وكمال النفس .

ولو صح أن الطبيعة البشرية ترد إلى استعداد واحد لكان خيرها المطلق هو كمال هذه النزعة ولكان نشاط هذه النزعة نشاطاً منظماً هو الوسيلة الطبيعية إلى تحقيق أكبر مقدار من الذات الإنسانية وأوفر قسط من سعادتها ولكن الطبيعة البشرية تحتوي على عدد كبير من الاستعدادات الفطرية ولكل منها نشاطه الخاص .

ومع ذلك فلا بد من التسليم بالمبدأ العام الذي يقرر أن هذه القوى الفطرية ووظائفها المختلفة لا تتساوى من ناحية صلتها بتحقيق الذات وأنه من الضروري اخضاع الوظائف السفلى للوظائف العليا فارسطو لم يخطىء حينما قرر هذه الحقيقة ورفع التفكير فوق الوظائف العضوية .

نظرية الكمال في صورتها الحاضرة :

لن يتسنى لنا أن نفهم حقيقة هذه النظرية في صورتها الحالية إلا إذا عرفنا الأسس العامة لنظرية الوجود التي تستند إليها .

وآراء الفلاسفة في طبيعة الوجود مختلفة كل الاختلاف فهناك الماديون الذين يرون الوجود مادة بحتة تفسر سلوكها القوانين الطبيعية المادية التي يستكشفها علماء الطبيعة والكيمياء . وهناك المحدثون من الطبيعيين الذين يعترفون بعنصر الحياة إلى جانب المادة البحتة ويفسرون سلوك الأحياء بالقوانين البيولوجية لا بالقوانين الطبيعية المادية، قوانين علمي الطبيعة والكيمياء .

أما أصحاب نظرية الكمال المثالي فينكرون النزعات المادية والطبيعية ويرون أن في الكون ثلاثة مستويات مختلفة في طبيعتها وسلوكها وهي الشخصية الإنسانية والكائنات العضوية ثم المادة غير الحية ويذهبون إلى أن كلا من هذه المستويات يفترض وجود ما يسبقه ولكن لا يمكن رده إليه وتفسيره بقوانينه .

فالشخصية الإنسانية مستوى أعلى من مستوى الكائنات العضوية وغير العضوية ولها طبيعتها وخصائصها التي لا يشاركها فيها مستوى آخر كما أنه لا يمكن أن يفسر سلوكها بالقوانين الطبيعية والكيمائية التي تفسر سلوك المادة أو بالقوانين البيولوجية البحتة التي تفسر سلوك عالم الأحياء فهي عقل أو نفس ولها سلوكها الخاص تفسره نواميس مختلفة وهي النواميس النفسية التي يدرسها الفلاسفة وعلماء النفس .

وأصحاب نظرية الكمال يرون أيضاً أن هناك فروقاً في القيمة بين مستويات الوجود الثلاثة . وهم بوجه عام يضعون الحي فوق غير الحي وحياة التفكير الممثلة في الإنسان فوق حياة الهضم والنمو والحس التي تظهر في عالم النبات والحيوان ويعتمدون في إثبات هذه الحقيقة على شهادة الفطرة الإنسانية السليمة . فالإنسان خير الخليقة وأعلى مستوياتها بشهادة الإدراك الفطري السليم .

ولكل مستوى من هذه المستويات خيره الخاص فالمادة إذا صارت آلة تؤدي عملاً خاصاً كالسكين مثلاً كان خيرها في كمال عملها فالسكين كأداة للقطع تبلغ كمالها وتحقق خيرها إذا كانت تجيد القطع .

أما الكائنات العضوية من نبات وحيوان فوظيفتها الحياة وخيرها في كمال وظائف الحياة .

ثم يأتي الإنسان . وليس الإنسان مجرد حيوان ولكنه حيوان اجتماعي مفكر . هو في الواقع عقل وكماله في تحقيق عقله أو أداء وظائفه الروحية والعقلية وترقيها وهذا هو ما يسميه الفلاسفة تحقيق الذات .

ولكن النظرية الحديثة أوسع نطاقاً من النظرية القديمة فهي لا تنسى أن للذات وظائف أخرى غير وظيفة التفكير فهي تفكر والتفكير من وظائفها الأساسية ولكنها أيضاً تطلب القيمة الجمالية والدينية فتتذوق وتعبد ولا يغفل أولئك الكماليون أيضاً الحقائق الواضحة الأخرى أو يتجاهلون مغزاها بالنسبة للكمال النفسي فالإنسان حيوان ، كائن عضوي ، وتحقيق ذاته لا يتم دون تحقيق الوظائف العضوية وهو أيضاً اجتماعي لا يتم ما يتجه إليه من تحقيق الذات دون تحقيق نزعاته الاجتماعية .

تحقيق الذات إذن ـ في رأي المحدثين من الكماليين ـ لا يقتصر على أداء الوظائف العقلية أو العضوية أو الاجتماعية ولكنه النشاط العام

المنظم للاستعدادات النفسية المختلفة فهو وحده الذي يصل بالطبيعة البشرية إلى كمالها ويحقق الذات الإنسانية .

الكمال النفسي وتحقيق الذات :

يتضح مما سبق أن فكرة أرسطو في خير الإنسان تقوم على أساسين فخير الإنسان مكانه ووظائفه وأعماله التي يقوم بها وهذا الخير هو ترقي هذه الأعمال وبلوغها درجة الكمال ولكن أرسطو اهتم بالتفكير أكثر من سواه فالذات الإنسانية عنده العقل ، ووظيفته التفكير وتحقيق الذات هو ممارسة التفكير والترقي حتى يصل إلى درجة الكمال . وهذا هو الكمال الإنساني الخاص في رأيه .

ونظرية الكمال الحديثة تتفق وأرسطو في أن الخير مكانه الوظائف والأعمال وأنه لا يعدو أن يكون رقي هذه الوظائف وبلوغها درجة الكمال وترى في هذا تحقيق الذات الإنسانية وكمالها . ولكنها لا تجاري أرسطو في قصره الاهتمام على التفكير ولا فيما ينزع إليه من أن تحقيق الذات انما يتم عن طريق نمو التفكير وحده بل تذهب إلى أن جميع الأعمال أو الوظائف ضرورية لتحقيق الذات وان كانت تتفاوت في مدى صلتها بتحقيق الذات ومقدار أثرها فيه ومن ثم كان من النافع أن نلقي نظرة عامة على هذه الأعمال وأن نحدد صلة كل نوع منها بتحقيق الذات .

تتألف حياة الإنسان اليومية من عدد غير قليل من الأعمال ولكنها يمكن أن ترد إلى أنواع قليلة العدد ولكل نوع خاص من هذه الأعمال أهداف أو قيم خاصة يرمي إلى تحقيقها فهناك الأعمال الاقتصادية والوظائف العضوية والنشاط الاجتماعي والأعمال العقلية والروحية .

ويمكن أن نقول أن تحقيق الذات يحتاج إلى كل هذه الأعمال والقيم التي تنتجها ولكنه يعتمد عليها ويدخل فيها بدرجات متفاوتة فالنفس تدخل في بعض الأعمال أكثر مما تدخل في غيره ومقدار الخير في هذه

أكثر منه في سواه .

فالأعمال الاقتصادية تنتج الخيرات الاقتصادية المختلفة. وهي أمور خارجة عن الذات ولكنها ضرورية لتحقيق القيم الجسمية ومن ثم كانت ضرورية لتحقيق القيم العليا التي تستند إلى القيم الجسمية .

أما الأعمال البيولوجية كحياة التغذية مثلاً فتحقق القيم الجسمية من صحة وقوة ونحو ذلك وهي أمور لا يمكن تحقيق القيم العليا بدونها .

فإذا وصلنا إلى الحياة الاجتماعية والقيم التي تحققها تغير الحال كثيراً . فالاجتماع ليس كالانتاج يحقق أشياء خارجية أو كتناول الطعام الذي يحقق القيم الجسمية ولكنه يحقق الذات مباشرة . فهو يحقق الصداقة والحب ، كحب الزوجة والأولاد . والحب ليس خارجاً عن الذات الإنسانية . وما الحب إلا حالة نفسية خاصة يصل فيها التعلق النفسي إلى أعلى درجات الشعور . فهو إذن ليس شيئاً خارجاً عن الذات كالقيم المادية . والاجتماع أيضاً يحقق الأخلاق فنحن نأخذها ممن حولنا بطريق الإيحاء والمشاركة الوجدانية وهذه حقائق نفسية وقيم روحية وتحقيقها تحقق للذات .

أما الأعمال العقلية والروحية فصلتها بتحقيق الذات أتم وأوثق . ويحسن أن تتذكر هنا فكرة مستويات الوجود الثلاثة فهي خير تمهيد لفهم أثر الوظائف العقلية والروحية في تحقيق الذات ويكفي أن تتذكر أن هذه النظرية تقرر أن مستوى الإنسانية يختلف عن غيره من المستويات في أنه عقل لا مادة حية أو غير حية وأن الإنسان إنما ظهر في الوجود يوم ظهر الكائن المفكر فإن دلالة هذا بالنسبة لتحقيق الذات واضحة . فتحقيق الذات بناء على هذا هو تحقيق الوظائف والقيم العقلية والروحية .

ووظائف العقل في رأي المحدثين من الفلاسفة الكماليين أوسع من التفكير فالعقل يفكر ويتذوق ويتعبد ، وهو إذ يفعل هذا ينشد قيماً

خاصة . فهو يفكر لطلب المعرفة . ويتذوق ليستمتع بالتجارب الفنية ويتعبد ليصل إلى مبدأ الكون ومصدر الوجود . وهذه الأعمال كلها عقلية فالتفكير والتذوق والتعبد الروحي أعمال يقوم بها العقل نفسه والقيم التي تفضي إليها كذلك . فهي حالات نفسية صرفة فالمعرفة والتجربة الجمالية والصلة باللّه حقائق نفسية لا أمور خارجية كالقيم المادية .

وتبدأ هذه الأعمال بسيطة ساذجة ولكنها تترقى وتسير نحو الكمال فإذا وصلت إليه حققت الذات الإنسانية أتم تحقيق وأكمله . ففي ممارسة التفكير وتذوق الفنون والعبادة الروحية الصحيحة ممارسة مباشرة للحياة العقلية والروحية وفي ترقيها وسيرها نحو الكمال تحقيق للذات . بل تحقيق لمعنى الإنسانية نفسها .

أما الحرمان فيتضمن نقصاً في تحقيق الذات وتحقيق مميزات الإنسان كما هو مشاهد في المتوحش والبدائي .

والآن وقد بينا ضروب الأعمال الإنسانية ومدى صلة كل نوع منها بتحقيق الذات والكمال النفسي نستطيع أن نتفرع لبيان معنى الكمال في الوظائف الإنسانية المختلفة .

وقد كان كمال الحياة البيولوجية، حياة الطعام والشراب والصلة الجنسية موضوع بحث الفلاسفة منذ القدم . وكانت النزعة العامة هي أن كمال هذه الوظائف في التزام حد الوسط . فهو وحده الذي يحقق القيم الجسمية من صحة وقوة أما الافراط أو الحرمان فيحول دون ذلك .

أما كمال الوظائف العليا فلا غموض فيه فكمال التفكير أن يأخذ صورة البحث المنطقي السليم وأن يحقق القيم الفكرية . وهي المعارف الفلسفية والعلمية .

ويتحقق كمال التذوق حينما يسير طبقاً لأصول علم الجمال فيعيننا على التفريق بين الجميل والقبيح وعلى الإحساس الصادق بدرجة

الجمال ونوعه في الطبيعة والفن .

وكمال العبادة ألا يهمل جانبها الروحي وأن تتجه إلى غايتها الصحيحة فتؤدي تدريجياً إلى الصلة الروحية المنشودة .

ووراء هذه الأعمال غرائز مختلفة تدفعنا إلى ممارستها وتحقيق القيم المرتبطة بها . فوراء الأعمال الاقتصادية غريزة الاقتناء التي تدفع رجال الأعمال إلى انتاج القيم الاقتصادية المختلفة .

ووراء الحياة الاجتماعية غريزة الاجتماع التي تدفع الفرد إلى الاجتماع بأمثاله من بني الإنسان فيتسنى له بذلك تحقيق قيم الصداقة والحب والأخلاق .

أما الحياة الفكرية فمن ورائها غريزة الاستطلاع التي تدفع الإنسان إلى البحث والتنقيب عن الحقائق العلمية والفلسفية .

أما الحياة الدينية فالرأي السائد أن ليس وراءها غريزة خاصة وإنما هو شعور الاجلال لمبدأ الكون يدفعنا إلى عبادته والاتصال به . وهو في رأي علماء النفس انفعال مركب .

وهناك من يذهب إلى أن غريزة اللعب مصدر النشاط في الانتاج الفني أما التذوق فعملية مركبة من عناصر نفسية مختلفة .

وإذا كانت الغرائز هي التي تدفعنا في البداية إلى ضروب الأعمال التي تحقق لنا القيم الاقتصادية والجسمية والاجتماعية والعقلية والروحية فإن التربية هي التي تعمل لترقية هذه الأعمال وبلوغها درجة الكمال فهي تدرب الناشيء على البحث المنطقي عن الحقائق العلمية والفلسفية وعلى النظرة العلمية المستنيرة إلى حقائق الوجود كما أنها تصقل ذوقه فتقدم له الآثار الفنية والأدبية وتعاونه على تحليلها وتقدير قيمها الجمالية بطريقة علمية صحيحة وتهتم كذلك بتعويده العبادة وتكوين أخلاقه على أساس سليم .

والتربية الصحيحة لا تهمل الناحية العملية فهي تمده بالكفاية المهنية الضرورية لممارسة الأعمال الاقتصادية .

ولكن هذه الأعمال التي تدفع إليها في الطفولة الغرائز وتهذبها التربية تمثل واجبات إنسانية لا يسع المرء اغفالها . وسنعرض لهذا فيما بعد .

واجمال القول أن الحياة الفاضلة في رأي أصحاب نظرية الكمال تتكون من ممارسة الأعمال الإنسانية المختلفة ولكن في صورتها الكاملة التي تحقق القيم الإنسانية .

فهم يمارسون الأعمال الاقتصادية وينتجون الخيرات المادية ويقبلون على الحياة العضوية حياة الأكل والشرب والجنس لأنهم يعلمون أن الخيرات الاقتصادية ضرورية للحياة الجسمية ويعرفون أن الحياة الجسمية هي دعامة الحياة الإنسانية العليا .

وهم يؤمنون بأن خير الإنسان وهدفه الصحيح هو أن يعيش عيشة إنسانية تكون ذاته وتحقق إنسانيته ويرون أن هذا لا يتم إلا بممارسة الحياة الاجتماعية والعقلية والروحية في صورتها الكاملة فيجتمعون بالناس ويقومون نحوهم بالواجبات الاجتماعية ويرتبطون مع الكثيرين منهم بروابط الصداقة والحب .

ولكنهم بعد هذا كله يعرفون أن الإنسان لن يعيش كإنسان إلا إذا ثابر على الأعمال الإنسانية العليا ووقف جزءاً من حياته على التفكير العلمي والفلسفي وتذوق الجمال الطبيعي والفني وعبادة اللّه وتوثيق الصلة به .

هذه هي الحياة الكاملة التي تحقق الذات الإنسانية والكمال النفسي . والذين يقبلون هذا النوع من الحياة وهم كثير في كل عصر يعملون في المجال الاقتصادي ويمارسون الصناعات والمهن المختلفة ولكنهم لا يجعلون من الثراء غاية ويأكلون ويشربون ويتزوجون ولكنهم لا يتخذون من لذة الطعام والشراب هدفاً أعلى لأنهم يؤمنون إيماناً ثابت

الأركان بأن خير الإنسان أن يعيش كـإنسان وأنـه إنما يبقى إنسـاناً إذا استمسك بحياة الفكر والذوق والعبادة .

وتنقسم الحياة اليومية بالنسبـة إليهم إلى قسمين كبيرين. سـاعات العمل وساعات الفراغ . فهم يمارسون الأعمال الأقتصادية أو غيرها في ساعات العمل أما سـاعات الفـراغ فهي موقـوفة على أعمـال الإنسان الصحيحة وهي التزود من العلم وممارسة التفكير العلمي أو الفلسفي وتذوق الفنون والآداب أو نتاجها ثم التعبد والقيام بالواجبات الدينيـة والخدمات الاجتماعية في صورة من صورها المتعددة .

الواجبات الإنسانية

أساس الواجبات ـ الواجبات الفردية ـ حفظ الحياة ـ حفظ الصحة ـ واجب الاعتدال ـ ١ ـ مذهب التقشف ـ ٢ ـ مذهب اللذة ـ واجباتنا نحو الحيـاة العقلية والروحية ـ واجبنا نحو حياة التجارب الجمالية ـ واجباتنا الدينية ـ الواجبات الفردية بوجه عام ـ الواجبـات الاجتماعيـة ـ أساس الواجبات الاجتماعية ـ حق الحياة ـ حق حرية الفكر والعمل ـ حق حرية العمل ـ الإحسان ـ الصلة بين العدل والإحسان . ـ

يفرق علماء الأخلاق بين نوعين من الواجبات ، الواجبات الخاصة بالفرد والواجبات الخاصة بالمجتمع . وبتعبير آخر يفرقون بين واجب المرء نحو نفسه وواجبه نحو أخيه الإنسان .

وسنبدأ أولاً بدراسة واجباتنا نحو أنفسنا ولكن يجب قبل أن نأخذ في دراسة الواجبات دراسة تفصيلية أن نحدد المبدأ الذي سنتخذه أساساً لما نقرره من واجبات .

أساس الواجبات :

يتضح من الدراسة السالفة أن علماء الأخلاق قد اختلفوا في تحديد الأساس النظري للأخلاق الإنسانية فذهبت طائفة إلى أن القضايا التي تقرر الواجبات من نوع البديهيات التي لا تحتاج إلى دليل وأن العقل يدرك صحتها إدراكـاً مباشـراً وهؤلاء هم أصحاب مـذهب البصيرة أو الإدراك المباشر (الحدس) وهو مذهب شكلي معروف أمـا الغائيـون